

## (جون ديوي) (الفن خبرة) الفكر الفلسفي الجمالي البرجماتي المعاصر

حياته (١٨٥٩-١٩٥٢): ولد في الولايات المتحدة الأميركية وكان والده مزارعا، ومركز عائلته الاجتماعي رفيع، وكان شغوفًا بقراءة الكتب وشرائها، مما دفعه إلى العمل مساء كبائع للجرائد. ارتبط اسمه بفلسفة التربية لأنه خاض في تحديد الغرض من التعليم وأفاض في الحديث عن ربط النظريات بالواقع من غير الخضوع للنظام والتقاليد الموروثة مهما كانت عريقة. وهو فيلسوف قبل أن يكون عالما في مجال التربية والتعليم.  
**الفلسفة العامة:**

١. تتطرق الفلسفة البرجماتية في فلسفتها العامة من مبدأ العمل والمنفعة فالمنفعة تمثل نظام العمل وتنظم بنية الخبرة وتشكل مظاهر النتائج البشري.
٢. تؤكد البرجماتية على ترابط الفكر بالأداء التجريبي فالفكر والأداء مكملان لبعضهما البعض والفكر يوجه الأداء والأداء ينمي الفكر وإذا تداخل فعل التفكير مع فعل الأداء وتفاعلا يحققان الإبداع.
٣. إن معيار صدق الفكرة عند البرجماتيين يقاس بمدى ما يترتب عليها من نتائج نافعة وتكون الفكرة صحيحة لأنها نافعة.
٤. تربط البرجماتية الفكر بالواقع الحياتي، لكونها فلسفة إنسانية تبحث في الإنسان وعلاقته ببيئته. إذ أن صراعه مع البيئة وتفاعله معها يشكل حقيقة الفعل والنتائج الإنسانية، وبذلك تتشكل الخبرة بفعل ما أنتجه العمل من تجريب.
٥. هي فلسفة تجريبية ديناميكية متطورة ترفض السكون بفعل التطور الحي الناتج عن حركة التجربة الإنسانية في الحياة الواقعية الفعلية. والمعرفة هي المتراكم التجريبي الذي يحقق الخبرة، بفعل خلق التوازن بين الإنسان وبيئته.
٦. تمثل الخبرة المقولة الأساسية في البرجماتية فهي أساس كل المعرفة ومصدرها. لذلك تسمى البرجماتية فلسفة الخبرة.
٧. رفض شطر الفكر الإنساني وشطر الحقيقة إلى شطرين متناقضين مثل الذاتي والموضوعي والنظري والعملية، والجزئي والكلي، والشكل والمضمون، والظاهر والباطن. وبالتالي ترفض شطر الإدراك إلى حسي وعقلي فالإدراك عندها هو حسي وعقلي في آن واحد.

### نظرية المعرفة:

أن مصطلح برجماتية مشتق من الكلمة الإغريقية ((برجما)) والتي تعني (العمل) والتي اشتقت منها كلمتي (عمل) و (عملي). وجاء (ديوي) وصاغ البرجماتية كنظرية تؤكد أن الفكرة أداة يكيف الإنسان بها نفسه بحيث يتلاءم مع بيئته ويحقق التوازن معها. وتؤكد البرجماتية على المنهج والمعرفة التجريبية. ويتخذ الفكرة أداة أو ذريعة لتحقيق منفعة، وإن صدق الفكرة وحقيقتها هو ما يترتب عليها من نتائج نافعة وإرجاع ما هو حقيقي إلى ما هو نافع.

أن البرجماتية تقف ضد تيارى الفلسفة المثالية والفلسفة التجريبية. وإن اختلفتا في مصدر المعرفة. فبينما تقول المثالية أن العقل هو المبدأ الأساس للمعرفة ومصدرها. تقول التجريبية بل أنها الحواس، وما العقل إلا مجموعة من الإحساسات التي خبرناها. فالأصل عند المثاليين هو فكرة في العقل وهو عند التجريبيين واقعة خارجية تدرك بالحواس. فجاءت البرجماتية بنظريتها وجعلت من نظرية المعرفة أداة العمل وما ينتج عنه من آثار تفيدنا في حياتنا العملية. إذ لم تعد الحقيقة تقاس بمدى تناسقها في عقولنا كما يقول المثاليون ولا بتطابقها مع الواقع الخارجي كما يعتقد التجريبيون. وإنما أصبحت حقيقة الفكرة تتمثل في مدى ملاءمتها أو عدم ملاءمتها لغاياتنا التي تقرر معرفتنا أو انعدامها بمدى ما سيعود علينا من نفع. وهكذا يربط البرجماتيون بين الفكر والمعرفة والعمل. أي أن الحقيقة الصادقة هي التي تنفع عمليا ويتحقق ذلك بالتجربة. فما المعرفة إلا نوع من العلاقات المتبادلة بين أجزاء التجربة وإن هذه العلاقة نفسها ما هي إلا جزء من التجربة.

يرفض ديوي لكل ثنائية انفصالية، فهو يرفض التمييز بين الذهن والمادة، كما يرفضون التفريق بين ما هو حسي وبين ما هو عقلي لأن الفكر هو الذي يثير الحواس ومعطياتها في بناء المعرفة. وعلى ذلك يوحدون بين التصورات الذهنية والمدرجات الحسية. وهكذا تكون المعرفة وصفية تأملية بفعل الرفض لكل الثنائيات الانفصالية في الفكر الفلسفي التي تفصل بين الذات والموضوع وبين الحسي والعقلي وبين النظري والعملية وبين الأفكار والوقائع.

تبنى البرجماتيون فلسفة تتضمن النمو والاستمرار والتفاعل الدائم مع البيئة ومكوناتها. فالاستمرار والتفاعل يتحدان في الخبرة وقيمتها لخلق خبرة جديدة فهما مبدءان أساسيان في بناء الخبرة. ويوضح ذلك ديوي بقوله (إن مبدئي الاستمرار والتفاعل لا ينفصل أحدهما عن الآخر. وإنما يلتقيان ويتحدان حتى يمكن القول: **أنهما في الواقع وجهان متفاعلان لخبرة واحدة**). وهكذا فكل خبرة تدفع إلى خبرة تليها. وهذا هو معنى النمو والاستمرار والتفاعل وإعادة تشكيل الخبرة في المعرفة والفن والجمال.

إذن فالبرجماتية تتبنى فلسفة الخبرة أو هي فلسفة الخبرة ويؤدي هذا إلى القول: أن المعرفة متضمنة في الخبرة ومن أجل الخبرة فالمعرفة تبنى على الخبرة التي هي دائما خبرة الحياة الواقعية التي نحياها. وما المعرفة إلا عمليات تجريبية ديناميكية ترفض كل الثنائيات في الفكر. وتؤكد على وحدة الطبيعة والإنسان وتوحد بين المادة والروح وبين الوعي والطبيعة وبين عالم القيم وعالم الواقع وبين الجزئي والكلية. ورفض كل أشكال الفصل بينهما أو تغليب أحدهما على الآخر. فما هما سوى أدوات في صميم عمليات التفاعل بين الوجود البشري والوجود الواقعي لتحقيق التوازن بينهما. لهذا كانت المعرفة هي خبرة في مواجهة تحديات البيئة وصعوباتها والعمل على تطويرها وتطويعها بما ينسجم مع متطلبات الإنسان ومنافعه. ومن هنا تكون المعرفة النابعة من التفكير هي في صميمها معرفة تجريبية. فإذا لم تحلل الأفكار وتختبر بالتجربة لإثبات صدقها فلن تتحول إلى معرفة. المعرفة لا وجود لها إلا إذا تحول فعل التفكير إلى فعل تجريبي يحقق موضوعيته. فالمعرفة أداة أو ذريعة تستخدم لتكيف الكائن البشري مع بيئته بطريقة تجعله ينتفع من هذه البيئة.

إذن لا يمكن الفصل بين ما هو عقلي نظري، وما هو عملي تجريبي بل هما مرتبطان ومتداخلان لتكوين الخبرة بكل دلالاتها وفعاليتها ويؤدي ذلك إلى أن تفاعل الإنسان مع بيئته هو تفاعل يبسر له الانتفاع منها. وهنا يدخل العقل في العمل لتحقيق استفادة الإنسان من خبرته. وعليه يكون العقل أداة ايجابية فعالة في عمليات تكيف الإنسان مع بيئته.

### فلسفته الجمالية:

**الفن:** هو العمل العقلي التجريبي الذي يحاول الكشف عن مكامن الفجوات او المتناقضات بين الانسان والمجامع والبيئة. وربط الفن بالتجربة والخبرة العملية التي تنمو وتتطور وتتشكل بنظام وتحقق طابعا جماليا، فالفن عمل تجريبي يؤدي الى تكوين الخبرات. وأعطى للفن صيغة نفعية وظيفية يحقق للإنسان مكاسب في صراعه مع البيئة. ورفض الثنائيات الانفصالية والاراء التي تحاول التمييز بين الفنون الجميلة والتطبيقية او الراقية والهابطة. واعتبر ديوي ان للفن نزعة ديناميكية تطويرية للإنسان والمجتمع بان واحد. وهو بالنتيجة يحقق منافع إنسانية واجتماعية. كما يعد الفن مظهر لحياة كل حضارة وسجل لها يخلد ذكراها ويحفظ امجادها وتسجيل طقوس الجماعات وانشطتهم واساطيرهم.

**الفنان:** رفض ديوي صيغ الالهام والحدس التي تضع الفنان بموضع الملائكة والقديسين والخورق، فهو ذلك الانسان ذو الإمكانيات التجريبية الواسعة المكونة للخبرة لديه التي يستطيع بها ان يكشف عن المتناقضات ما بين الكائن البشري والمجتمع الإنساني وبين البيئة الديناميكية. ومن ثم يحاول ان يجد بفعل التجريب والخبرة حلولا لها وتحقيق التوازن. وفي تاريخ الفن الحديث والمعاصر الكثير من الفنانين الذين اكتسبوا الخبرة وأبدعوا اعمال فنية متميزة. فالفنان جواد سليم بفعل التجربة والخبرة نفذ نصب الحرية وفق دراسات مستفيضة ليكون سجل مُصور صاغه عن طريق الرموز أراد عن طريقها سرد أحداث رافقت تاريخ العراق مزج خلالها بين القديم والحديث. وبيكاسو توصل الى التكعيبية بعد المرور بالكثير من التجارب الفنية لإنضاج التجربة الفنية بفعل الخبرة.

**الجمال:** حسي وعقلي يرتبط بقيمة المتراكم العقلي التجريبي الذي امتلك الخبرة، ووعي الجمال هو خبرة في وعي متوازنات البيئة وبالتالي الوصول الى وعي المتوازن المتحد بين الذات ومحيطها.

**الابداع والعملية الإبداعية:** هي المرحلة التي يستطيع بها الفنان ان يقدم نتاج من الية تجربته المتراكمة لخلق توازن بين الانسان ومحيطه. وكلما شعر المتلقي بهذا التوازن كان الابداع ناجحا ومتقدما. وعليه الابداع محكوم بوعي وخبرة وتجربة لغلق الفجوات وتحقيق التوازن.